

أعدّه

عبد العليم أبو نخلة





مكتبة فتية التوحيد

الدعوة إلى الإخلاص التام

باتباع

ملة إبراهيم عليه السلام


مكتبة فتية التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

لا رب لنا غيره ولا معبود لنا سواه ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ** ﴾(١).

﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً** ﴾(٢).

﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾(٣).

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى صحبه ومن والاه ....

أمّا بعد..

اعلموا يهدينا الله وإياكم ... إن هذا القرآن المنزّل من عند الحكيم الخبير يهدى للتي هي أقوم ، وإلى الحق وإلى طريق مستقيم ، ومن أعظم ما دعانا اللّه ﷻ إليه في كتابه العزيز هو اتباع ملّة إبراهيم عليه السلام ، والمتتبع بتدبر لآيات الذكر الحكيم يلاحظ ذلك ويَتَيَقنُه ويزداد بصيرةً بالله وبدينه الذي ارتضاه لعباده .

يقول الحق تبارك وتعالى :﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الْدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣)** ﴾(٤) .

فهنا رب العالمين يأمر نبيه محمد ﷺ باتباع ملّة إبراهيم عليه السلام ، وأمره أن يُعلن هذا وأنزل ذلك في كتابه لِيُتخذ قرآناً يُتلى ومنهجاً في حياة المسلم فقال تبارك وتعالى ﴿ **قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١)** ﴾(٥).

وأمر الله تعالى المسلمين بما أمر به نبيه محمد خاتم المرسلين ﷺ ، فقال تبارك وتعالى:﴿ **قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٥)** ﴾(٦).

وقال تبارك وتعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ** ﴾(٧) .

---

(١) سورة سبأ:الآية ١.

(٢) سورة الفرقان:الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب:الآية ٥٦.

(٤) سورة النحل:الآية١٢٠.

(٥) سورة الأنعام:الآية ١٦١.

(٦) سورة آل عمران:الآية ٩٥.

(٧) سورة الحج:الآية ٧٧.

وفى الردّ على اليهود والنصارى الذين يدّعون أهم على حق وهدى ، أمر اللّه تعالى خاتم رسوله محمد ﷺ أن يقول لهم الحق ويبين لهم طريق الهدى ، فقال تعالى : ﴿ **وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(١٣٥)** ﴾[١]. وأخبر عن نبيه يوسف عليه السلام أنه متبع لملّة آبائه عليهم السلام جميعا ، فقال تعالى : ﴿ **إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِـي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ** ﴾[٢] . فالترك والاتباع من معاني لا إله إلاّ الله - أي النفي والإثبات - .

وأخبرنا ربنا جلّ وعلا أن ملّة إبراهيم عليه السلام هي أحسن الدين ، فقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً(١٢٥)**﴾[٣].

وأخبرنا كذلك أنه لا ينصرف عن هذه الملّة العظيمة إلا السفيه مهما كانت مرتبته أو أشتُهر عنه أنه ذو علم ودين وفقه وأسلوب خَطابة...فهو سفيه ؛ فقد قال تعالى عن مثل هؤلاء :﴿ **وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ(١٣٠)**﴾[٤] .

فما هي ملّة إبراهيم عليه السلام .. ولماذا ؟؟!!

وهو سؤال يطرح نفسه أمام هذا الحشد من الأوامر الربانية في اتباع ملّة إبراهيم عليه السلام .

فينبغي لمن يريد الحق المنزّل من الله تعالى ، ويرغب في اتباع خير الهُدى، وأن يكون على الصراط المستقيم الذي هُديَ إليه خليلي الرحمن عليهما الصلاة والسلام .. وأن يكون ذو دين قيّم...

ينبغي له أن يعلم تفاصيل هذه الملّة العظيمة ، وأن يكون على يقين منها ، حتى يستطيع اتباعها والدعوة إليها على بصيرة... فينجوا ويفوز ، ويكون في الآخرة من الصالحين .. وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا البحث إن شاء الله .. مستعينين برب العالمين ، من كتابه الكريم ، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وأقوال علماء السلف عن ملّة إبراهيم عليه السلام ..

والله الموفق ... : أبو نخلة

---

(١) سورة البقرة:الآية ١٣٥.

(٢) سورة يوسف:الآية ٣٧.

(٣) سورة النساء:الآية ١٢٥.

(٤) سورة البقرة:الآية ١٣٠.

اعلموا يرحمنا الله وإيّاكم ..

إن هذا القرآن حكيم ، وقد أخبرنا عنه الذي أنزله بالحق سبحانه فقال تعالى:﴿ **يس(١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢)** ﴾[1] ، ومن الحكمة في القرآن أنه يدعوا كافة البشر بأيسر الأساليب وأقوى الحُجج ..

ولأن المشركين وأهل الكتاب ـــ قديما وحديثاً ـــ يزعمون أنهم على ملّة إبراهيم عليه السلام ، وأنه منهم ، ونحو ذلك من الانتماء والارتباط بإبراهيم عليه السلام .. فأمر الله تعالى خاتم رسله ﷺ أن يدعوهم إلى ما يعتقدون هم أنهم عليه .. وذلك من أعظم الحكَم وأقوى الحُجج في الدعوة إلى الحق .

كذلك إن إبراهيم عليه السلام يُعتبر جَدّ ـــ محبوب ـــ لليهود والنصارى والمشركين قديماً وحديثا.. فتلاحظ ذلك في تصارُعهم على امتلاك مدينة الخليل .. وتنافس قومنا على شراء الأضاحي في عيد الأضحى وذبحها إقتداءً بذبح إبراهيم عليه السلام لكبش الفداء عن إسماعيل عليه السلام .. وكثرة تسمّيهم بإبراهيم.....الخ.

يخبرنا العليم الخبير عن مجادلة أهل الكتاب والمشركين ، بأنّ إبراهيم عليه السلام منهم ، وأنهم أتباعه وأحق به من غيرهم ..

فقال تعالى : ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ (٦٥) هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨)** ﴾[2].

إذاً فقد بيّن الله تعالى من هو أولى الناس بإبراهيم ، وما هي ملّته الحقيقية ..

ألا وهي الحنفية السمحة ، وهي التي بُعث بها محمد ﷺ كما أخبرنا في حديثه الشريف حيث قال:" بُعثت بالحنفية السمحة " .. ومن السنّة أن نقول في أذكار الصباح : " أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملّة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين "[3].

وكذلك أمرنا في تشهد الصلاة أن نربط في الدعاء ، الصلاة على إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام .. وفي استفتاح الصلاة أن نقول : " وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين "[4].

وهكذا عندما تدعوا المشركين وأهل الكتاب إلى الله ، فمِن أسهل الحُجج أن تدعوهم إلى ما يزعُمون هم أنهم عليه ..

---

(١) سورة يس:الآيات ١-٢.

(٢) سورة آل عمران:الآيات ٦٥-٦٨.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه مسلم.

وسيجد من يستجيب منهم أنك لم تأتي له بشيء جديد عليه ، بل المطلوب منه اتباع ملّة أبيه إبراهيم عليه السلام .. كما قال الله عز وجل لرسوله ﷺ :﴿ **قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ..** ﴾[(١)]..

وقال تعالى :﴿ **الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ** ﴾[(٢)] . وقال تعالى عن الفرق بين القرآن الكريم ، والكتب السماوية الكريمة المنزّلة من قبل :﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾[(٣)] .

وأخبر عن الجن الذين آمنوا أنهم قالوا :﴿ **إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠)** ﴾[(٤)] .

فأهل الكتاب تتم محاجّتهم أولاً بأنهم مأمورون باتباع محمد ﷺ الذي يجدونه مكتوباً موصوفاً بدقة تامة عندهم في التوراة والإنجيل ، وبشّرت به رسلهم ، وأمرتهم بلزوم اتباعه إذا بُعث وهم أحياء، وقد كانوا قبيل البعثة ينتظرونه لكي يتبعوه ، إذا كانوا يظنون أنه سيأتي منهم وليس من الأميين ، ومن أسباب مجيء اليهود قبل البعثة إلى يثرب ـــ المدينة ـــ هو علمهم بالمكان الذي سيظهر فيه خاتم المرسلين محمد ﷺ .. فإن أقرّوا بذلك يُدعون إلى اتباع ملّة أبيهم إبراهيم عليه السلام ..

" وهناك بعض النُسخ من التوراة والإنجيل التي لم تُحرّف بعد وهي تصف رسول الله محمد ﷺ، وتبشّر به .. كما أخبرنا الله تعالى بذلك في القرآن حين قال :﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..** ﴾[(٥)] . ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾[(٦)]..

فأي نسخة للتوراة والإنجيل لا يوجد بها ما أخبر القرآن عن محمد ﷺ فهي حجّة عليهم أنها محرّفة ومبتور منها .. لأنهم الآن يعترفون بأن محمد رسول الله وأنه أُرسِل بالقرآن .. ولكن للأميين فقط ...!! ".

وقد جعل الله تعالى أحد الأدلّة على صدق محمد ﷺ وهو معرفة علماء بني إسرائيل له عليه السلام ، قال تعالى:

﴿ **وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧)** ﴾[(٧)] .

وأما المشركين ممن يدّعون أنهم أتباع محمد عليه السلام وأنهم مصدّقون بالقرآن ... فهؤلاء يُخاطَبون بالقرآن مباشرة ، لاتباع ملّة إبراهيم عليه السلام.. فيكون حجّة لهم أو حجّة عليهم .

---

(١) سورة الأحقاف:الآية ٩.
(٢) سورة آل عمران:الآيات ١-٣.
(٣) سورة المائدة:الآية ٤٨.
(٤) سورة الأحقاف:الآية ٣٠.
(٥) سورة الأعراف:الآية ١٥٧.
(٦) سورة الصف:الآية ٦.
(٧) سورة الشعراء:الآية ١٩٧.

هذا في مجال الدعوة فقط ، وإلاّ فالرسل جميعاً ملّة واحدة ، وكلّهم عليهم السلام يدعون إلى شيء واحد ألا وهو التوحيد الخالص لرب السماوات والأرض ومن فيهن ﷻ .. كما ذكرت كثيراً من الآيات القرآنية ؛ كقوله تعالى :﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ** ﴾[1] ، وقوله ﷺ " نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلاّت أبونا واحد وأمهاتنا شتى " الحديث . فالملّة واحدة والدعوة واحدة ، والاختلاف فقط في الشرائع والمناهج ..

والله سبحانه أعلم وأحكم



(١) سورة النحل:الآية ٣٦.

إن المتتبع لآيات الذكر الحكيم التي تخبر وتصف أحوال إبراهيم عليه السلام سيجد كلمتي (حنيفاً ، مسلماً) وهما الوصف الإلهي لرسوله وخليله إبراهيم عليه السلام ..

والحنيف ؛ هو المائل أو المتجه عن الشرك إلى التوحيد ..أي تاركاً للشرك، متجهاً إلى التوحيد الخالص. كما قال يوسف عليه السلام :﴿ **إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ ..**﴾(١) "لا إله" .

والمسلم ؛ هو المستسلم ، المنقاد ، المطيع لربه بالكامل ، لا يشرك معه في عبادته شيئا ـــ محبة وخوفا ورجاء ـــ كما قال يوسف عليه السلام :﴿ **وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِـي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ..**﴾(٢) "إلاّ الله" .

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله : [**أن يكون القلب مقبلاً على الحق والعلم والذكر ، معرضاً عن ذكر غير ذلك وتلك هي الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام ، فإن الحنف هو الميل عن الشيء بالإقبال على آخر ، فالدين الحنيف هو الإقبال على الله وحده والإعراض عما سواه ، وهو الإخلاص الذي ترجمته كلمة الحق ، والكلمة الطيبة لا إله إلا هو ؛ اللهم ثبتنا عليها في الدنيا وفي الآخرة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله**](٣) .

وحقيقة ملّة إبراهيم هي : البراءة الكاملة من المشركين وشركهم ، حتى يؤمنوا بالله وحده .

يخبرنا الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام فيقول عز وجل :﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ (٧٤)** ﴾(٤) .

﴿ **فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤)** ﴾(٥) .

﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨)** ﴾(٦) .

﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)** ﴾(٧) .

هذا وقد لخّصت الآية الكريمة -٤- من سورة الممتحنة ملّة إبراهيم العظيمة تلخيصاً شاملاً كافياً لكل راغبا في اتباعها والاهتداء بها .. فقد خاطب رب العالمين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومن يهتدي بهديه.. مخبراً عن ملّة إبراهيم عليه السلام ، فقال تعالى :﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ**

(١) سورة يوسف:الآية ٣٧.
(٢) سورة يوسف:الآية ٣٨.
(٣) رسالة في القلب وما خلق له .
(٤) سورة الأنعام:الآية ٧٤.
(٥) سورة التوبة:الآية ١١٤.
(٦) سورة الزخرف:الآيات ٢٦-٢٨.
(٧) سورة الأنعام:الآيات ٧٨-٧٩.

قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[1] .

والمتدبر لهذه الآية وما قبلها حق التدبّر فسيجد الآتي :

١. إنّ ملّة إبراهيم عليه السلام هي ؛ البراءة التامة من – المشركين وشركهم– حتى يؤمنوا بالله وحده لا شريك له .. (أي الإخلاص التام) .

فمن تبرأ من الشرك و لم يتبرأ من الذين يفعلونه ، فقد خالف إبراهيم عليه السلام ورغب عن ملّته العظيمة .. بل قد ذكر الله تعالى في الآية البراءة من المشركين قبل معبوداتهم بقوله: **[مِنكُمْ]** ، فتأملها فإنها تنفعك .

يقول الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ :[**والمرء قد ينجو من الشرك ويحب التوحيد ، لكن يأتيه الخلل من عدم البراءة من أهل الشرك ، وترك موالاة أهل التوحيد ، ونصرهم ، فيكون متبعاً لهواه داخلاً من الشرك في شُعب ، هدم دينه وما بناه ، تاركاً من التوحيد أصولاً وشُعباً لا يستقيم معها إيمانه الذي ارتضاه ، فلا يحب ولا يبغض ولا يعادي ولا يوالي لجلال من أنشأه وسوّاه ، وكل هذا يؤخذ من شهادة لا إله إلا الله**][2].

وهذا الكلام جدير بالانتباه له جيداً لأهميته وخطورته ويمسّ الكثير من الناس خصوصاً المتدينين منهم ..

٢. إنّ هذه البراءة دائمة حتى يترك القوم عبادة غير الله ـــ معه أو من دونه ـــ ويوحّدوا الله تعالى ، الإله الحق رب هذا الكون وكل من فيه .. وأن هذه البراءة تكون حتى مع أقرب الأقارب وإن كانوا الوالدين .. لا يسقطها إلاّ التوحيد الخالص .

٣. قد ذكرت هذه الآية مقتضيات ، ولوازم البراءة (أي معانيها) وهي :التكفير ، والعداوة الظاهرة بحسب القدرة والإمكانيات ، والبغضاء الباطنة أبداً .

وهذا معنى "إنّك بري من المشركين وشركهم" في ملّة إبراهيم عليه السلام .

وعجباً !! فقد تجد من الناس من يتبرأ من الشرك ويبغضه ولكن لا يعمل بمقتضى البراءة من التكفير والعداوة والبغضاء ..!!؟؟

وقد ضرب الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بعض الأمثلة لأنواع المخالفين لعقيدة التوحيد في البراءة ؛ كمن لا يُكفّر المشركين ولا يعاديهم ، أو من يبغضهم ويعاديهم ولكن لا يكفرهم .... وذكر أن أمثال هؤلاء غير متّبعين للملّة الحنفية السمحة .. وقال رحمه الله : [**فإذا عرفت هذا ، عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام ـــ ولو وحّد الله ، وترك الشرك ـــ إلاّ بعداوة المشركين ، والتصريح لهم بالعداوة**

(١) سورة الممتحنة:الآية ٤ .

(٢) الدرر السَنيّة–جزء الجهاد–ص:١٨٦ .

والبغض كما قال الله تعالى :﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...﴾[١]][٢] .

وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أصلاً جامعاً للدين وقاعدته فقال : [أصل دين الإسلام وقاعدته أمران :

الأول ــ الأمر بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك والمولاة فيه ، وتكفير من تركه. "إلا الله"

الثاني ــ الإنذار عن الشرك في عبادة الله تعالى ، والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله][٣] . "لا إله"

٤. إن البراءة من المشركين وشركهم ، والتي معناها "التكفير والعداوة والبغضاء" تنتهي عندما يرجع القوم إلى توحيد رهم ومولاهم الحق لا يشركون به شيئا ، في جميع أمور حياهم ، ويتبرؤون من معتقداهم الباطلة التي كانوا عليها ، ويتبرؤون من الباطل وأهله وأتباعه ...

حينئذ تنتهي البراءة منهم ويتبدّل مكانها الولاء لله تعالى ، ومن ثمّ تنقلب البغضاء محبة لله تعالى ولعبيده المخلصين ، والعداوة اجتماعاً و ترابطاً واعتصاماً بحبل الله ، والشهادة لهم بالإسلام بدل الكفر ، والشهادة لهم بأنهم : حنفاء وليسوا من المشركين ، ولا اليهود ولا النصارى . وهذا يشملهم وصف أتباع إبراهيم عليه السلام وأولى الناس به في ميزان رب العالمين . والله أعلم .

٥. إن الآية -٤- من سورة الممتحنة ، والآية -٢٦- من سورة الزخرف، والآية ٢٥٦ من سورة البقرة ، وغيرها من الآيات هي شرح لمعنى لا إله إلاّ الله ، ولما تقتضيه من النفي والإثبات ؛ النفي للباطل وأهله ، والإثبات للحق وأهله . . والله أعلم وأحكم .

فلا إله إلا الله : هي الكلمة الباقية ، وهى العروة الوثقى ، والكلمة السواء وكلمة الإخلاص ، وكلمة التقوى ، وعليها أسسّت الملّة .

والآن .. نحتاج إلى مزيد من التوضيح رغبة في الإحاطة بما ييسّره الله تعالى لنا في فهم وتطبيق الأمر العظيم باتباع ملّة خليله إبراهيم عليه السلام .. القدوة الحسنة للبشر جميعاً .

فإن هناك أموراً وأحوالاً ستترتب على ما تقتضيه البراءة من تكفير وعداوة وبغضاء :

---

(١) سورة المجادلة:الآية ٢٢.

(٢) الرسالة الأولى من مجموعة التوحيد.

(٣) مجموعة التوحيد: الرسالة الأولى.

الكفر بالمعبودات من دون الله وعابديها:

اتباعاً لملّة إبراهيم عليه السلام حينما قال لأبيه وقومه : ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ تقتضى وتعني الكفر" بمعبوداتهم الباطلة وألهتهم المزعومة وطواغيتهم المعبودة والمتبوعة والمطاعة في غير طاعة الله"..

كما قال تعالى :﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا ﴾[١] . وقول نبينا محمد ﷺ لعمّه وقومه: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) ﴾[٢].. وقول الرجل لصاحبه المشرك : ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً (٣٨) ﴾[٣] .

وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب كيفية الكفر بالطاغوت فقال:[**إعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على بني آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله والدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾[٤].**

فأمّا صفة الكفر بالطاغوت ، أن تعتقد بطلان عبادة غير الله ، وتتركها ، وتكفّر أهلها وتعاديهم ، ... (إلى أن قال) **وهذه ملّة إبراهيم التي سفه من رغب عنها ...]** ، وقال أيضاً :[**واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت ، والدليل قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ...﴾[٥]**] وقال في موضع آخر [**بل ملّة إبراهيم هي الكفر بالطاغوت والإيمان بالله**][٦] .

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ [**ووسم تعالى أهل الشرك بالكفر فيما لا يُحصى من الآيات ، فلا بدّ من تكفيرهم أيضاً ، هذا هو مقتضى " لا إله إلاّ الله " ، كلمة الإخلاص ، فلا يَتمّ معناها إلا بتكفير من جعل لله شريكاً في عبادته ، كما في الحديث الصحيح " من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه وحسابه على الله " ، فقوله " وكفر بما يعبد من دون الله " ، تأكيداً للنفي (أي لا إله) فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك، فلو شك أو تردد لم يحرم دمه وماله**][٧].

وما أحسن ما قال الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن آل الشيخ في آخر أرجوزة له[٨]:

---

(١) سورة البقرة:الآية ٢٥٦.
(٢) سورة الكافرون:الآيات ١-٢.
(٣) سورة الكهف:الآية ٣٧.
(٤) سورة النحل:الآية ٣٦.
(٥) سورة البقرة:الآية ٢٥٦.
(٦) مجموعة التوحيد: الرسالة الأولى.
(٧) عقيدة الموحّدين الرسالة الثامنة.
(٨) الأرجوزة المفيدة في مسائل العقيدة.

والكفر بالطاغوت أمرٌ لازمُ في العروة الوثقى فأين العالم
في آية الكرسي والنحل الذي يكفى ويشفى فأشرب الصافي العدى
فكل ما قد جاوز المشروع فإنه الطاغوتُ والممنوعُ
عبادة أو طاعة أو حبا سمى المطاع في الظلال ربا
هذا عدى قال لسنا نعبد قال النبي ليس هذا المقصد
يتلوا عليه اتخذوا أحبارهمُ أربابهم مبيّناً أخبارهم
في طاعة الأحبار في التحليل كذاك في التحريم
بالتضليل والحكم بالقانون أمرٌ منكر لا حبذا مأمورهم والآمر

تكفير من لم يكفرهم

وهذا أمر جدير بالاهتمام والتنبيه على خطورته وأخذ الحذر منه ، ذلك لأن بعض الناس قد يُهلكون أنفسهم بعدم البراءة من المشركين ــ أي تكفيرهم وعداوتهم ــ مع أنه قد عرف الشرك وتبرأ منه ، ولكنه لم يتبرأ ممن فعله ، وبعضهم قد يكفر بالطواغيت ، ولكن عجبًا !! لا يكفرون بأذيال الطغاة وجندهم وأتباعهم وقطعانهم البشرية التي يسوقونها وتطيعهم في معصية الله...!!! وتراه يجادل بالباطل عن الذين أشركوا من قومه خاصة ، ويتبع كل شبهة تخدم غرضه في أن قومه ليسوا مشركين ، إما ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل لزيغ في الفهم أو في القلب ، وإما إنها السنن ، سنة من قال الله فيهم : ﴿ **إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠) وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ (٧٢) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣)** ﴾[1]. وقوله تعالى عن قوم شعيب عليه السلام : ﴿ **قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا** ﴾[2]. أو قول قريش عن رسول الله ﷺ [إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا] ، وأي والله ، فإن كل من لم يتبع بحق ملّة إبراهيم لسفيه سفيه وضال . . فقد كانت قريش تقول ، كما ذكر البخاري رحمه الله في صحيحه [نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم ، وولاة البيت وقاطنو مكة وليس لأحد من العرب مثل حقنا ومنزلتنا وكانوا يسمّون أنفسهم الحُمس ....] والحُمس هم: المتحمسون في دينهم .. وكانت قريش تتزعّم الدين في العرب.. ويرون أنهم أولياء الله ، خصوصاً بعد حادث الفيل...ولهذا بعدما فُتحت مكة دخل العرب أفواجاً للإسلام..

وقد كان أهل الكتاب كذلك يظنون أنهم أتباع الرسل وأحبّاء الله ، وأهل الهُدى وأنهم أهل العلم ويفتخرون بعلمائهم... فلمّا جاءهم كتاب من الله بالحق المبين.. اتبعوا أهوائهم وعقولهم وعواطفهم وساداتهم وكبرائهم والعادات والتقاليد وسماع الدعايات المشوّهة المُنفّرة .. وأعرضوا عن مجرد سماع الحق

(١) سورة الصافات:الآيات ٦٩-٧٣.

(٢) سورة هود:الآية ٨٧.

المبين ، ظناً منهم أنه بدعة على غير هدى الرسل .. وفرحوا بما عندهم من العلم.. وفرحوا بتلفظهم بلا إله إلا الله .. وأنهم يتـــلون التوراة والإنجيل وزبر الأولين ويعرفونها ...

فقال الله تعالى لهم :﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَـيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾(١).

وقال الله تعالى في وصيّة عظيمة : ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْـكَ وَمَـا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣)** ﴾(٢) .

وأوصى الله تعالى خاتم رسله ﷺ فقال ﷻ :﴿ **وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُـشْرِكِينَ (١٠٥) وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦)** ﴾(٣) .

فالقضية الكبرى هي قضية القيام بالدين كله ، في كل مجالات الحياة ، وليس بعضها ، وليس مجـــرد تـــلاوة الكتب السماوية ، أو العلم بها ، ولا الانتماء إليها .. إنها قـــضية خـــضوع العبيـــد الخـــضوع الكامـــل ، واستسلامهم لمولاهم الحق الكبير المتعال ﷻ .. فما وُضِع الأنف على الأرض في الصلاة إلا إشـــارة وعلامـــة لكمال الذل والاستسلام للرب الأعلى رب العرش العظيم ...

وسبحان الله !! يسمع القوم رب العالمين يُنذر خليله وخاتم رسله في القرآن ، بأنه إذا دعا غير الله كان مـــن الظالمين { وحاشاه أن يفعل } ، ويسمعون مالايحصى من الآيات ، يأمر الله فيها رسله الكرام أن لا يكونوا من المشركين [الذين يُخلِطون في عبوديتهم واتّباعهم وطاعتهم لله تعالى] ، ووصـــف خليله إبراهيم عليه السلام بأنه ﴿ **وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ ، ويسمعون رسل الله عليهم السلام يتبرؤون من أقوامهم وآبـــائهم وإخـــوانهم وأبنائهم المشركين ويكفّرونهم ويعادونهم ويبغضونهم .. يسمعون آيات الله تتلوا عليهم ذلك ويقرؤونها ــ بـــل يحفظونها بالإحكام والتفسير ــ ثم .....

ثم وأسفاه .. !! يُعرضون عن تطبيقها والعمل بها في واقع حياتهم ، ويجادلون بالباطل والمتشابه، ليدحـــضوا به الحق .. بل عجبًا ! يُنكرون على أهل الحق ويفترون عليهم كذباً أنهم [يكفّرون المسلمين!] .. ولا يريدون أن يصدّقوا أن قومنا وقومهم اتخذوا من دون الله آلهة وأنهم خرجوا من دين الله أفواجـــا .. بإيمـــانهم بـــبعض الكتاب وكفرهم ببعض .. كمن سبقهم من الأمم والأجيال الكثيرة التي أضلها الشيطان وأغواها واســـتحوذ عليها ...

ووصف الإسلام لا يعطى إلا لمن جعل الدين كله لله وحده لا شريك له في جميع جزئيات الحياة ونُظُمِها .. فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

(١) سورة المائدة:الآية ٦٨.

(٢) سورة الشورى:الآية ١٣.

(٣) سورة يونس:الآيات ١٠٥-١٠٦.

يقول سيد قطب رحمه الله :[**والذين يظنون أنهم (مسلمون) بينما هم خاضعون لشريعة من صنع البشر – أي لربوبية غير ربوبية الله – واهمون إذا ظنوا لحظة واحدة أنهم (مسلمون) .. إنهم لا يكونون في دين الله لحظة واحدة وحاكمهم غير الله ، وقانونهم غير شريعة الله ، إنهم في دين حاكمهم ذاك .. في دين الملك لا في دين الله ..**

.. والذين يقولون أنهم (مسلمون) ، ولا يقيمون ما أنزل إليهم من ربهم ، هم كأهل الكتاب ليسوا على شيء ، والذي يريد أن يكون مسلماً ، يجب عليه بعد إقامة كتاب الله في نفسه ، وفى حياته أن يواجه الذين لا يقيمونه ، بأنهم ليسوا على شيء حتى يقيموه ، وأن دعواهم أنهم على دين يردها عليهم رب العالمين ... فالمفاصلة في هذا الأمر واجبة ودعوتهم إلى الإسلام من جديد هي واجب المسلم الذي أقام كتاب الله في نفسه وفى حياته ..

فدعوى الإسلام باللسان والوراثة دعوى لا تفيد إسلاماً ، ولا تحقق إيماناً ، ولا تعطي صاحبها صفة التديّن في أي ملّة وفي أي زمان .

إن دين الله ليس رايةً ولا شعاراً ولا وراثةً .. إن دين الله حقيقة تتمثل في الضمير وفى الحياة سواء .. تتمثل في عقيدة تعمر القلب ، وشعائر تقام للتعبد ، ونظام يصرف الحياة .. ولا يقوم دين الله إلا في هذا الكل المتكامل ، ولا يكون الناس على دين الله إلاّ وهذا الكل المتكامل متمثل في نفوسهم وفى حياتهم. وكل اعتبار غير هذا الاعتبار تمييع للعقيدة ، وخداع للضمير](1).

وننذر**!!** من جادل عن المشركين و لم يتبرأ منهم فلم يكفر بهم أو لم يكفّر من لم يكفّرهم، فنقول له :

اتقى الله ، وأعلم أنك إن لم تتبرأ من المشركين [ليس قريش والهنود واليهود والنصارى فقط.. بل حتى من يعبد القبور ، ويحكم أو يتحاكم إلى غير شرع الله، أو يعبد الطواغيت باتباع شرعهم الباطل وأهواهم الفاسدة أو يدخل في طاعتهم وولائهم ...]

إن من لم يتبرأ منهم فإن حكم الله فيه هو أنه ﴿ **مِنْهُمْ** ﴾ لأن الشهادة بالإسلام للمشركين تعني ولائهم وقد قال رب العالمين :

﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾(2) ، **﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾**(3) ، **﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾**(4) .. ومعلوم أن من نواقض الإسلام [من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم فهو كافر مثلهم] ...

(١) تفسير في ظلال القرآن.
(٢) سورة المائدة:الآية ٥١.
(٣) سورة الأنعام:الآية ١٢١.
(٤) سورة المجادلة:الآية ٢٢.

فلينظر كل إنسان إلى هذا الإنذار .. وليراجع نفسه فيه جيّداً قبل فوات الأوان ، حينما لا تنفعه المجادلة عن القوم المشركين ، قال تعالى مخاطباً المجادلين عن أهل الباطل : ﴿ **هَاأَنتُمْ هَـؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً(١٠٩)** ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً (٥٤) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً (٥٥) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُواً(٥٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً (٥٧)** ﴾[2] .

ولعلّ الكثير من المجادلين بالباطل يقرؤون هذه السورة كل جمعة تبركاً بها ، ومنهم من يحفظها بل يُعلّمها غيره ..ولكنه الجدال بالباطل والإعراض ، الذي يترتب عليه غشاوة في الفهم – ولو كان من أعلم أهل زمانه – وصمّاً عن سماع الحق .. فانتبهوا يرحمكم الله ، فإنه والله لمترلق خطير جدا .. وبابٌ للشيطان كبير، وفتنة العقيدة في الآباء والأجداد والعشيرة .

هدانا الله وإيّاكم إلى الاستقامة على الصراط المستقيم ، والقيام بما أنزل إلينا من ربنا ، وبما يرضيه ﷻ عنّا .

(١) سورة النساء:الآية ١٠٩.

(٢) سورة الكهف:الآيات ٥٤-٥٧.

ومن مقتضيات (كفرنا بكم) عدم التحاكم إلى غير شرع الله :

قال أحكم الحاكمين : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً (٦٠)** ﴾[1] .

فَيَا كُل من لا يرى بأساً في التحاكم إلى الطواغيت وشرعياتهم ومحاكمهم المحلية والدولية .. ويا كُل من يرى المُتحاكم إلى قوانين الطواغيت مؤمنا ، أو يرى أن التشريع من حق العبيد .. إحذر جيداً من هذه الآية ، فإنها والله لحجّة عليك ، فتدبرها وقف عندها كثيرا ، قبل أن تقف أمام مُنْزِّلها...

يقول سيد قطب رحمه الله :[**إن الذين يحكمون على عابد الوثن بالشرك ، ولا يحكمون على المتحاكم إلى الطاغوت بالشرك ويتحرّجون من هذه ولا يتحرّجون من تلك ..إن هؤلاء لا يقرؤون القرآن ولا يعرفون طبيعة هذا الدين .. فليقرؤوا القرآن كله ، وليأخذوا قول الله بجد (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) الأنعام .**][2].

ونشير هاهنا إلى أمر هام وهو ، أن الآية ٦٠ من سورة النساء ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً** ﴾[3] قد نبهت على مجرد [إرادة] التحاكم إلى الطاغوت يكون سبباً في الانسلاخ من الإيمان ، والإرادة أمر قلبي إن لم تظهر لنا يكون صاحبها ـــ منافقا ـــ يظهر الإسلام ويبطن الكفر ..

أمّا أن يكون أمر التحاكم إلى الطواغيت وقوانينهم الوضعية الوضيعة ، علنياً طبيعياً بواحاً ، قد فُتحت له المعاهد والجامعات لإخراج قضاة له ومحامين ، وفتحت له محاكم متنوعة بحرسها وحجّابها ، والناس لا يردّون منازعاتهم إلاّ إليها وقد أمروا أن يكفروا بها ...!!!

فهذه والله لجريمة كبرى ومكر كبير.. ودعوة شيطانية على أبواب جهنم ، وانسلاخ من الإسلام للحاكم والمتحاكم والراضي بذلك سواء .

ألا وإن من أكبر علامات الرضى عدم تكفير هؤلاء وأمثالهم أو حتى مجرد الشك أو التوقف في أنهم كفّار الكفر الأكبر البواح الظاهر جداً كشمس الظهيرة .. ولو كانوا أكثر من في الأرض ، وما مثل هؤلاء بمسلمين..وإنّ الله لغني عن العالمين وعن إيمانهم .

(١) سورة النساء:الآية ٦٠.
(٢) تفسير في ظلال القرآن.
(٣) سورة النساء:الآية ٦٠.

يقول سيد قطب رحمه الله :[**لقد استدار الزمان كهيئة يوم جاء هذا الدين للبشرية .. بلا إلــه إلاّ الله ، فقد ارتدت البشريّة إلى عبادة العباد وجور الأديــان ونكفت عن لا اله إلاّ الله ، وإن ضل فريق منها يردد على المآذن (لا إله إلاّ الله) دون أن يُــدرِك مدلولها ، ودون أن يعي هذا المدلول وهو يرددهــا ، ودون أن يرفض شرعية الحاكمية التي يدّعيها العباد لأنفسهم ...**](١).

ألا فاعلم ، أن اليهود قد كفروا باجتماعهم على تغيير عقوبة الزنا مع تحريمهم له ومع بحثهم على مَخــرج فقهي ، حتى أنهم أتوا لرسول الله ﷺ ليوافقهم على عقوبة التحميم بدل الرجم ، فنفّذ عقوبة الرجم على الزاني وقال : " اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه" ، فكيف بمن اجتمعوا محليّا ودوليّا ..على تشريعات وقوانين وضعية ، استبدلوا بها شريعة رب البريّة ...؟؟!!

قال رب الناس ملك الناس إله الناس ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَــجَرَ بَيْــنَهُمْ ثُــمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً (٦٥)** ﴾(٢).. وقال تعالى: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَــرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـــكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾(٣) . يقول سيد قطب رحمــه الله :[**وكونهم لا يعلمون لا يجعلهم على دين الله القيّم فالذي لا يعلم لا يحمل الاعتقاد**](٤) .

ألا وإن كل من تحاكم إلى الطاغوت وقوانينه فهو كافر .. وكل من لم يكفّره فهو(منهم) كــافر مثلــه ﴿**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ** ﴾(٥) . والله أعلم وأحكم .

ومن مقتضيات البراءة : "العداوة"

قال إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه ﴿ **وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ ...** ﴾(٦) ، وقوله عن معبودات قومه مــن دون الله وطواغيتهم وشرعها الباطل وقوانينها وأنظمتها الفاسدة المفسدة ..﴿ **فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّــي إِلاَّ رَبَّ الْعَــالَمِينَ (٧٧)**﴾(٧) .. وهى من معاني "لا إله إلا الله" ..

(لا) العداوة والبغض والرفض التام لأي رب أو ملك أو إله دون الله ، (إلاّ) رب العالمين...الكل أعدائي (إلاّ) رب العالمين سبحانه وتعالى .

يقول الإمام ابن القيّم رحمه الله : [**فلا تصحّ الموالاة إلاّ بالمعادة**] كما قال تعالى عن إمام الحنفاء المحبّين أنه قال لقومه ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُــدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَــإِنَّهُمْ عَــدُوٌّ لِّــي إِلاّ رَبَّ**

(١) تفسير في ظلال القرآن.
(٢) سورة النساء:الآية ٦٥.
(٣) سورة يوسف:الآية ٤٠ .
(٤) تفسير في ظلال القرآن.
(٥) سورة البقرة:الآية ١٣٠.
(٦) سورة الممتحنة:الآية ٤.
(٧) سورة الشعراء:الآية ٧٧.

الْعَالَمِينَ (٧٧) ﴾[١] ، [فلم يصح لخليل الله هذه الموالاة والخُلّة إلا بتحقيق هذه المعاداة ، فإنــه لا ولاء إلا لله، ولا ولاء إلا بالبراء من كل معبود سواه][٢].

وقد اتبع خاتم الرسل عليه الصلاة و السلام ملّة أبيه إبراهيم عليه السلام فيما هو معلوم من عداوته لقومه وحربــه معهم ...

فلا بدّ من (العداوة) .. وتكون بحسب القدرة ، والإمكانيات .. فتُستعمل التُقية حينما يكون المــسلمون في مرحلة الاستضعاف ، وكلّما ازدادت القدرة والإمكانيات ازداد ظهور العداوة .

وللعداوة مقتضيات ولوازم تترتب عليها .. خلاصتها كما الأحوال والتصرفات التي يفعلــها المتخاصــمين والمتعاديين من الناس أو كما تتعادى القبائل.. في الأمور الدنيوية ، غير أن عداوة الدين تختلف في أنها أعظــم وأكبر وأشد ، لا لشيء إلا لأنهم أشركوا بخالقهم العظيم ، وجعلوا له أنداداً سبحانه وتعالى عمــا يــشركون .. قــال تعالى:﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾[٣] .

ونورد هاهنا بعض الأدلة على مقتضيات ولوازم العداوة لمزيد من الإيضاح :-

الاجتنــاب :

فالعداوة تلزمك حتماً بالابتعاد عن الطاغوت وشرعه وأنظمته الباطلة ، واجتناب عُــبّاده وأتباعه ومطيعيه، ومن يتولونه ومن يحمونه وينصرونه ....

قال الله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ** ﴾[٤]. ويقول عز وجل :﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥)** ﴾[٥] . ويقول تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧)** ﴾[٦] ..

وقال تعالى : ﴿ **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ**﴾[٧]وقال الله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)** ﴾[٨] .

(١) سورة الشعراء:الآيات ٧٥-٧٧.
(٢) كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن قيّم الجوزية.
(٣) سورة لقمان:الآية ١٣.
(٤) سورة النحل:الآية ٣٦.
(٥) سورة إبراهيم:الآية ٣٥.
(٦) سورة الزمر:الآية ١٧.
(٧) سورة الحجّ:الآيات ٣٠-٣١.
(٨) سورة المائدة:الآية ٩٠.

الاعــتزال :

وهذا أمر طبيعي في أن تعتزل من عاديته .. وكذلك العداوة الكبرى ــ العداوة في الدين والمعتقد ــ كما أخبرَ ربُ العالمين عن خليله إبراهيم عليه السلام مع قومه :﴿ **وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيّاً (٤٨)** ﴾(١) .. فيا ليت من يسمع هذه الآية يتدبرها فيفقهها ويعتــزل الأشــقياء ، الذين يدعون الأموات من دون الله ، ويتدبر لماذا قُدّم اعتزال القوم قبل معبوداتهم ﴿ **وَأَعْتَزِلُكُمْ** ﴾ ؟؟!! وأن في اعتزال المشركين وشركهم خير كثير حتى في الحياة الدنيا ، فقد قال الله تعالى عقب هذا الموقف من مقتــضى العداوة ، مبيّناً رضاه سبحانه عن مثــل هذا العمل ﴿ **فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّــهِ وَهَبْنَــا لَــهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً (٥٠)** ﴾(٢) .

وأخبرنا رب العالمين في القرآن الحكيم عن موقف كليمه موسى عليه السلام حين قال لفرعون وقومه ﴿ **وَإِنْ لَّــمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (٢١)** ﴾(٣) .. وكذلك فعل الفتية ــ الذين آمنوا بربهم وزادهم هدىً وربط على قلوبهم ــ مع قومهم الذين اتخذوا من دون الله آلهة :﴿ **وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَــى الْكَهْــفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً (١٦)** ﴾(٤).

فيا أسفــى علــى مــن يدّعي الدين فلــم يبرأ ولم يعادي فيعتزلَ المشركين

هجــرهم :

فلا بدّ في العداوة من هجر الباطل وأهله .. وهل في حياتك رأيت عداوة بدون هجر ؟؟! فما بال العــداوة في الدين ؟؟ وها هو كتاب الله ينطق بالحق ، علينا وعلى من ينكر [الهجرة] للباطل وأهله .. فانتبه واســتمع فإن الدعاية والتشويه والتنفير والمكر.. كبير تكاد تزول منه الجبال ، ولكن الحق أحق أن يُتّبــع ، والله عزيــز حكيم عليم ..

قال الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام :﴿ **وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾(٥). وفى الهجر للباطل وأهله خيرٌ كثير حتى في الحياة الدنيا ، قال تعالى عقب هذه الآية الكريمة :﴿ **وَوَهَبْنَــا لَــهُ إِسْحَــاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِــي الْــآخِرَةِ لَمِــنَ الــصَّالِحِينَ (٢٧)**﴾(٦).

---

(١) سورة مريم:الآية ٤٨.
(٢) سورة مريم:الآيات ٤٩–٥٠.
(٣) سورة الدخان:الآية ٢١.
(٤) سورة الكهف:الآية ١٦.
(٥) سورة العنكبوت:الآية ٢٦.
(٦) سورة العنكبوت:الآية ٢٧.

وقال الله ﷻ : ﴿ **وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)** ﴾[١]. وقال تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً (١٠)** ﴾[٢] ، وهذه من أوائل الآيات القرآنية التي أُنزلت إلى أهل الأرض .. وقال تعالى:﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا** ﴾[٣] . وطَلبُ العودةِ إلى ملّتهم يعني أنّ الرسل عليهم السلام هَجَرَتْ أقوامها المشركة ، والتي آخرها هجرة الحبشة والهجرة النبوية إلى المدينة... فتدبّرها لعلّ غطاء التشويه لكلمة [هجرة] يزول عنك فتعرف أن الهَجْرَ للشرك وأَهلهِ أصلٌ من أصولِ الدينِ الحنيف .

وإذا تأمّلت وتدبّرت قولَ ربِّ العالمين في القرآن عن [الهجرة والمهاجرين] فلا تجد إلا مدحًا ورضًا منه ﷻ .. ثم عجبًا ..!! تجد العبيد الحقراء جعلوها مسبّةً ونُفْرَةً عن الحق وأهله ، ليصدّوا الناس عن سبيل الله .. وسبحان الله ولكأنهم لا يقرؤون القرآن و لم يسمعوه...!!

فمن أراد الله والدار الآخرة والنصح لنفسه ، فليقرأ بتدبر وفهم قول المولى ﷻ في الآيات التالية :

الأنفال:الآيات من ٧٢ إلى ٧٥	النساء: الآيات من ٨٩ إلى ١٠٠	التوبة ١٠٠ ، ٢٠
الحج: الآية ١٥٨	النحل: الآية ١٤١	آل عمران: الآية ١٩٦
الحشر: الآيات من ٨ إلى ٩	الأحزاب: الآية ٥٠	الممتحنة: الآية ١٠

ثم ليصدق نفسه ويقول لها : " من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عليه الناس ، ومن أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس " .

وإننا لننصح من يتهم أهل الحق بأنهم [تكفير وهجرة] ظلماً وعدواناً بغير علم إلا اتباع كل مُنسلخ ناعق.. ننصحه بأن يعلم علم اليقين أن من مقتضيات البراءة : التكفير / والهجرة التي هي من لوازم العداوة في ملّة إبراهيم .. مهما أراد الطغاة وأتباعهم وعلماؤهم أن يُنفّروا الناس من هذه المقتضيات الحقة اللازمة لشهادة أن (لا) إله (إلا) الله ، وإن هذا الاسم حق أريد به باطل ، للتنفير والتشويه.. وإلاّ فالمسلمون من أحرص الناس على عدم تكفير وهجر (المسلمين) ولكنّهم في نفس الوقت ، من أحرص الناس على عدم المداهنة مع (المشركين)..فهم يكفّرون الكافر.. ولا يكفّرون المسلم ... وليقل هذه الحقيقة عنهم كل من أراد تسميتهم بإسم التكفير...!!.

ويا حبذا أن يتهموننا بأننا [صبأنا] كما كانت قريش تتهم الرسول والذين آمنوا معه بأنهم [صابئون] يعنون بذلك أنهم تركوا دين قومهم وآبائهم وأجدادهم .. كما وصفهم عمرو بن العاص حينما أراد تشويه مهاجري الحبشة لدى النجاشي .. وقولهم عن رسول الله يفرّق بين الأب وابنه والرجل وزوجته... ونعم والله

---

(١) سورة المدّثر:الآية ٥.

(٢) سورة المزّمّل:الآية ١٠.

(٣) سورة إبراهيم:الآية ١٣.

إنه لفرقان بين الحق والباطل ، وخروج عن دين القوم الباطل المختلط بالشرك والأهواء ، وتكفيرهم وهجرهم وما يعبدون من دون الله ، واتباع ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ...

فليس ذاك سحراً وليست هذه بدعة ـــ وما أشبه الليلة بالبارحة ـــ فليس أولئك صابئون ﷺ، وليس هؤلاء خوارج .. ولكنّها السنن ، وعند الله تجتمع الخصوم في يوم لا ظلم فيه .. فإلى الله المشتكى والله المستعان .

الإعراض عنهم :

فالإعراض مع الهجر .. عمّن عاديته أمر مركوز في النفوس ، ولهذا نُهي عن هجر المسلم للمسلم فوق ثلاثة أيام ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام .. أما المشركين ، فالخير كل الخير في الإعراض عنهم ، قال المولى ﷻ :﴿ **اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦)** ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤)** ﴾[٢] . وقال تعالى :﴿ **فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩)** ﴾[٣] ..

فالصادق في عداوة الكافرين ، سَيَجدُ نفسه طبيعياً مُعرضاً عنهم ، بل حتى عدم القعود معهم إذا كانوا يخوضون أو يستهزؤون أو يكفرون بآيات الله ، أو بدينه أو بسنة نبيه ، أو بأتباع نبيه . كما سيفعل ذلك طبيعياً لو كان الاستهزاء مثلاً " بأمه " !!.. ولذلك كان الصدق من شروط لا إله إلا الله ..

قال تعالى منبهاً على هذا الأمر الخطير :﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨)** ﴾[٤] .

وينبغي التنبيه على أمر هام هاهنا وهو ؛ أن هناك فرق بين المنكر العام ، والمنكر الخاص أو المحدود ، من حيث الإمكانية والقدرة على تغيره .. كما قال رسول الله ﷺ : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[٥].. والتغيير بالقلب هو : الاعتزال وعدم المشايعة بالعمل ، كما فسّره العلماء .. وليس كما يظنه كثير من الناس هو مجرد عدم محبتك لذاك المنكر!!

قال الإمام القرطبي في تفسيره لسورة المائدة الآية ٧٩[٦] :[**قال ابن عطية: الإجماع منعقد على أن النهى عن المنكر فرض لمن أطاقه وأَمِنَ الضرر على نفسه وعلى المسلمين ، فإن خاف فينكر بقلبه ويهجر ذا المنكر ولا يخالطه**]..

---

(١) سورة الأنعام:الآية ١٠٦.
(٢) سورة الحجر:الآية ٩٤.
(٣) سورة النجم:الآية ٢٩.
(٤) سورة الأنعام:الآية ٦٨ مكية.
(٥) رواه مسلم.
(٦) ﴿ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾.

والناظر إلى الآية المكية السابقة من سورة الأنعام والتي يأمر الله تعالى فيها بالإعراض وعدم القعود مع الخائضين في دين الله ، مع أن الكعبة كانت محاطة بالأصنام ، وكان رسول الله ﷺ يصلي ويدعوا بجانبها ، ويطوف حولها ، ويتكئ عليها .. كما هو معروف من السيرة في المرحلة المكيّة .. ولكن حينما فتحت مكّة كان أول أعماله تغيير المنكر العام ، كتكسير الأصنام ، وإبطال المعاملات الربويّة ، والنعرات الجاهلية وحميتها... وهذا يبين لك كيفية تغيير المنكر وأنواعه .

عدم طاعتهم :

وهذا أيضاً أمر طبيعي جدا ، أن لا تطيع من عاديت ، وأن لا تقبل الدخول تحت لوائه ، وأوامره ، وتشريعاته .. ويجد الداخل في الدين القيّم أن من مقتضيات العداوة في الدين أن لا تطع الكافرين .. ورب العالمين يأمر بذلك في كثير من الآيات القرآنية الكريمة ...

قال الله تعالى :﴿ **فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً (٥٢)** ﴾[١]. وتجدر الإشارة هنا أن هذه السورة مكيّة ، وأن الجهاد الكبير فيها ، هو الحجّة والبيان بالقرآن المبين ــ كما ذكره الإمام ابن تيمية ــ .

وقال تعالى :﴿ **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٧) فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠)** ﴾[٢]

وقال تعالى :﴿ **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً** ﴾[٣] ..

وقال تعالى :﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢)** ﴾[٤] .

وقال تعالى :﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً (٢٤)** ﴾[٥].

وقال تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً(١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً (٢)** ﴾[٦]

وقال تعالى:﴿ **وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً**﴾[٧] .

وقال ﷻ :﴿ **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** ﴾[٨].

---

(١) سورة الفرقان:الآية ٥٢.
(٢) سورة القلم:الآيات ٧-١٠ مكية.
(٣) سورة الكهف:الآية ٢٨.
(٤) سورة الشعراء:الآية ١٥٢ مكيّة.
(٥) سورة الإنسان:الآية ٢٤ مكيّة.
(٦) سورة الأحزاب:الآيات ١-٢.
(٧) سورة الأحزاب:الآية ٤٨.
(٨) سورة الأنعام:الآية ١٢١ مكيّة.

وقال رب العالمين :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ (١٤٩) بَلِ اللّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠)** ﴾[١] .

وقال العليم الحكيم :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠)** ﴾[٢] .

وقال المولى ﷻ :﴿ **إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦)**﴾[٣] . تدبّر بجدّ وصدق قوله تعالى : ﴿ **سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ** ﴾ فهو مجرد وعد بالطاعة .. وفي بعض الأمر.. فكيف بمن أطاع ، وفي غالب الأمور ، أو كلها .. وصار تبعاً لهم؟؟ فانتبه هداك الله .

يقول الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله عند كلامه عن الأمور التي يجب التنبيه عليها وتعيين الاعتناء بها ليتم لفاعلها مجانبة دين المشركين .. قال : [.. **الأمر الثاني : معصيتهم فيما أمروا به ، فإن الله تعالى نهى عن طاعة الكافرين ، وأخبر أن المسلمين إن أطاعوهم ردوهم عن الإيمان إلى الكفر والخسارة** ..(ثم ذكر الآيات التي تنهى عن طاعة الكافرين)] .

وقال تعالى إخباراً عمّن أطاع رؤساء الكفر : ﴿ **وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧)** ﴾[٤] .

وقال تعالى :﴿ **اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)** ﴾[٥] . [وقد فسر النبي ﷺ اتخاذهم أرباباً أنها طاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام ، فإذا كان من أطاع الأحبار وهم العلماء والرهبان ، وهم العبّاد في ذلك ، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله ، فمن أطاع الجُهّال والفُسّاق في تحريم ما أحل الله ، أو تحليل ما حرم الله ، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله ، بل ذلك أولى وأحرى] ا.هـ.

فهذه أوامر الرب الأعلى ، رب العرش العظيم وهذا هو دينه القيّم ، في مرحلة الاستضعاف أو في مرحلة القوة سواء ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ولا طاعة للكافرين ولا دخول تحت راياتهم وشعاراتهم وولائهم ... وكم ممن أهلكَ نفسه وأنقلب خَسراناً مشركاً بمجرد قبوله الدخول في أنظمة الكفر والكافرين الأنجاس ، فتنجّس مثلهم وصار منهم ، ومثله في الغي من لا يرى بأساً في الداخلين تحت ألوية وأوامر الطغاة ، وجندهم .. بل عجباً لهم !! يرون أن جند الطاغوت إخوتهم في الله ... !!!

(١) سورة آل عمران:الآيات ١٤٩-١٥٠ مدنيّة.

(٢) سورة آل عمران:الآية ١٠٠ مدنيّة.

(٣) سورة محمّد:الآيات ٢٥-٢٦ مدنيّة.

(٤) سورة الأحزاب:الآية ٦٧.

(٥) سورة التوبة:الآية ٣١.

فلينتبه كل ناصحٍ لنفسه من هذا المترلق الخطير على وادي السعير.. وليراجع بصدق وَجدٍّ وفهـم ، كيـف صنّـف رَبُ العالمين الجنود إلى قسمين لا ثالث لهما : جند الله / وجنود إبليس أجمعين ـ كجنـد فرعـون وهامان والأحزاب وجند الطغاة على مرّ الأزمان ـ ولعل أذن واعية تسمع هذه الآية فتوقض صاحبها، قـال الله تعالى : ﴿ .. **وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ** ﴾(١) . وقال تعالى ﴿ **إِنَّ فِرْعَـوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ** ﴾(٢) .

يقول الإمام القرطبي في تفسيره :[﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ**﴾ وكان وزيره من القبط ..﴿ **وَجُنُودَهُمَـا كَـانُوا خَاطِئِينَ** ﴾ أي عاصين مشركين آثمين] ا.هـ .

ثم هل غرق فرعون وحده أم حتى وزراؤه وجنده ؟؟ !! قال العزيز المقتدر:﴿ **فَأَسْرِ بِعِبَـادِي لَـيْلاً إِنَّكُـم مُّتَّبَعُونَ (٢٣) وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ (٢٤)** ﴾(٣) . ألا فتدبّر وانتبه واحذر!.

عدم الركون إليهم :

ومن الطبيعي جداً ، عدم الركون إلى من عاديته .. فكيف بالعداوة الكبرى عداوة الدين ..؟ وقد حـذّرنا الله تعالى من الركون إلى الظالمين ، فقال المولى ﷻ : ﴿ **وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ (١١٣)** ﴾(٤) .

يقول الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : [**الركون حقيقة الاستناد والاعتماد والـسكون إلى الشيء والرضى به**].. قال قتادة : **معناه لا توادّوهم ولا تطيعوهم** ..

وقال ابن جرير : **لا تميلوا إليهم** .. وقال أبوا العالية : **لا ترضوا أعمالهم** .. وكله متقارب .. وقال ابـن زيد : [**الركون هنا الإدهان ، وذلك لا ينكر عليهم كفرهم**] ا.هـ .

ويقول الشيخ حمد بن عتيق النجدي رحمه الله :[**فنهى ﷻ عن الركون إلى الظلمة، وتوعّد علـى ذلـك بمسيس النار ، وعدم النصر.. والشرك هو أعظم الظلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ فمـن ركن إلى أهل الشرك ، أي مال إليهم ورضي بشيء من أعمالهم، فإنه مستحقٌ لأن يعذبه الله بالنـار ، وأن يخذله في الدنيا والآخرة**](٥).

فيا راكناً للظالمين ـ ركون خوف أو محبة أو رجاء ـ فقد جاءك نهيٌ صريحٌ، وتهديـد مـبين مـن رب العالمين، فإن لم تنتبه لنفسك فستندم حينما يَمَسَّـكَ عذاب مهين ، ولن يُنقذك منه أحدٌ مـن المخلـوقين...

---

(١) سورة القصص:الآية ٦.
(٢) سورة القصص:الآية ٨.
(٣) سورة الدخان:الآية ٢٤.
(٤) سورة هود:الآية ١١٣.
(٥) مجموعة التوحيد: الرسالة ١٢.

وكيف لا نخاف من هذا النهي العظيم من الله تعالى ، ونحن نسمعه يقول لخليله وخاتم رسله وسيد ولـد آدم ﷺ: ﴿**وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً (٧٤) إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً (٧٥)** ﴾[١]. رحماك ربنا ، اللهم إنا نسألك التثبيت على الحق .

عدم مظاهرتهم :

وكيف تظاهر من عاديت .. وهل ينصر ويعين عدُوّه إلا السفيه ؟! وقد نهى الله تعالى عن مظاهرة الكافرين فقال ﷻ :﴿ **وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ (٨٦)**﴾[٢] . وأخبر عن موسى ؑ :﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ (١٧)** ﴾[٣] . فمن كان يرجو رحمة الله ونعمته فلا يكوننّ ظهيراً للكافرين أبدا . فإنه من نواقض الإسلام [مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالى ﴿ **وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[٤] .

التعزز عليهم :

فإن العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين ، فمن عاد الله ورسوله فهو ذليل سفيه ، قال الله تعالى مخبراً عن كيف ينبغي أن يعامل المسلم المؤمنين والكافرين : فقال العزيز الحكيم :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)** ﴾[٥] . قال علي ؓ عنه: (أذلة على المؤمنين) أهل رقّة على أهل دينهم .. (أعزة على الكافرين) أهل غلظة على من خالفهم في دينهم][٦].

فيا راغباً في محبة الله لك ، ويا راجياً فضله ، والثبات على دينه الحق ، وتريد أن تكون من الفرقة الناجية التي لا تخاف في الله لومة لائم ولا تستمع إلى تشويه منفّر... كن رحيماً ذليلاً سهلاً ليّنًا مع المسلمين ، عزيزًا قوياً على الكافرين أعداء الله وأعدائك .. يقول الإمام ابن القيم رحمه الله [**مع المؤمنين كالوالد مع ولده، ومع الكافرين كالأسد مع فريسته**] .

---

(١) سورة الإسراء:الآيات ٧٤-٧٥.

(٢) سورة القصص:الآية ٨٦.

(٣) سورة القصص:الآية ١٧.

(٤) مجموعة التوحيد: الرسالة الأولى.

(٥) سورة المائدة:الآية ٥٤.

(٦) مجموعة التوحيد: الرسالة ٦.

الشدة عليهم :

والتشديد مع عدوك المبين ، من الأمور الطبيعية التي نراها في غالب العداوات بين الناس ، فما بالك عداوة الدين !! وهكذا كان رسول الله ﷺ والصحابة الكرام ، قال الله تعالى واصفا حالهم :﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ** ﴾[١].

فإذا كنت حقاً من أهل السنة والجماعة ، متبعاً للسلف الصالح ، قد وصف الله تعالى لك حال محمد ﷺ والذين معه ، فعليك بسنتهم ، ليس في الركوع والسجود فقط ، بل حتى في الشِّدة والرحمة...

الإغلاظ عليهم :

وهكذا هي طبيعة العداوة ومقتضياتها.. قال الله تعالى مخاطباً رسوله ﷺ : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾[٢] .

وقال رب العالمين مخاطباً أتباع رسوله الكريم : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣)** ﴾[٣] .. فاتقوا الله حق تقاته .

عدم الزواج منهم ولا أكل ذبائحهم :

نهى الله تعالى عن ذلك فقال:﴿ **فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ** ﴾[٤] . وقال تعالى : ﴿ **وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١)** ﴾[٥] .

هذا وقد استثنى العليم الخبير الحكيم ، اليهود والنصارى (أهل الكتاب) من هذا النهى.. فقال تعالى:﴿ **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥)** ﴾[٦] .

---

(١) سورة الفتح:الآية ٢٩.
(٢) سورتي: التوبة:الآية ٧٣، التحريم:الآية ٩.
(٣) سورة التوبة:الآية ١٢٣.
(٤) سورة الممتحنة:الآية ١٠.
(٥) سورة البقرة:الآية ٢٢١.
(٦) سورة المائدة:الآية ٥.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : [.. **وأما الفتاوى عن الصحابة بحلّ ذبائح أهل الكتاب فنعم لعمـرُ الله لا يُعرف عنهم فيها خلاف ، وقال عبد الله بن أحمد : قال أبي : لا بأس بذبائح أهل الحرب إذا كانوا مـن أهل الكتاب ، وقال ابن المنذر: أجمع على هذا كل من يُحفظ عنه من أهل العلم ..**][(١)] .

ويقول الإمام ابن تيمية رحمه الله : [**وأمّا المشركون فقد اتفقت الأمة علـى تحـريم نكـاح نـسائهم وطعامهم**][(٢)] . ويقول الإمام الجصاص رحمه الله : [**وقد علِـمنا أن المشركين وإن سمّوا على ذبائحهم لم تؤكل ..**][(٣)].

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :[**يشترط في القصّاب فاضل الدين أن يكون مسلماً صـحيح المعتقد ينكر الخرافات كعبادة القبور وغيرها مما يعبد من دون الله وينكر جميع المعتقدات والبدع الكفرية .. ولا يكتفي في حل ذبيحته بمجرد الانتساب إلى الإسلام والنطق بالشهادتين وفعل الصلاة وغيرها من أركان الإسلام مع عدم الشروط التي ذكرناها .. فإن كثيراً من الناس ينتسبون إلى الإسلام وينطقون بالشهادتين ويؤدون أركان الإسلام الظاهرة ، ولا يكتفي بذلك في الحكم بإسلامهم ولا تحل ذكاهم لـشركهم بـالله العظيم في العبادة بدعاء الأنبياء والصالحين والاستغاثة بهم وغير ذلك من أسباب الردّة عن الإسلام ..**

وهذا التفريق بين المنتسبين إلى الإسلام أمر معلوم بالأدلة من الكتاب والسنة وإجمـاع سـلف الأمـة وأئمتهم][(٤)] .

<u>قتـالهم</u> :

وهذا ما تنتهي إليه معظم العداوات التي يُصرّ فيها أهل الظلم على ظلمهم وطغيـانهم وعـدوانهم وبغـيهم وتكبّرهم وفسادهم... ويثبت فيها أهل الحق على ما هم عليه .. فلابد حينئذ من حدوث القتال .

قال القوى العزيز :﴿ **وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّـهَ لاَ يُحِـبِّ الْمُعْتَـدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَـاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَـوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣)** ﴾[(٥)] .

(١) أحكام أهل الذمّة: ج ١.
(٢) مجموع الفتاوى: ج ٨.
(٣) أحكام القرآن: ج٣.
(٤) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: ج ١٢.
(٥) سورة البقرة:الآيات ١٩٠-١٩٣.

وقال تعالى :﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه** ﴾[١] .. وقال ﷻ :﴿ **وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً (٧٥) الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً (٧٦)** ﴾[٢] .

وقال تعالى :﴿ **قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩)** ﴾[٣] .

وقال تعالى مبيّناً أن القتال بين المؤمنين بالله والكافرين به ، سنّة جارية على هذه الأرض :﴿ **وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦)** ﴾[٤] .

فلا لين ولا مودة بل جهاد فيه شدة وقتال فيه المسلمين غلظة وانتصار

إنها العداوة بكل معانيها ولوازمها ومقتضياتها .. بين الحق والباطل .. بين الخير والشر .. بين الصلاح والفساد .. بين العدل والظلم .... بين أهل الجنة وأهل النار . قال تعالى : ﴿ **قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤)** ﴾[٥] .

ومن مقتضيات البراءة : "البغضاء"

فقد قال إبراهيم عليه السلام لقومه :﴿**وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً** ﴾[٦] ، والبغضاء هي أشد الكره وهى المقت .. وهى دائمة أبدا بين أهل الحق وأهل الباطل حيث أن البغض يكون بالقلب .. فليس فيه تقية ولا إكراه ولا عُذر .. وأوثق عُرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله .. فإذا ازداد إنسان تقوى وطاعة لرب العالمين ينبغي أن يزداد مقدار المحبة في الله له من المسلمين ولو كانت بينهم وبينه مشاحنات شخصية .. وعلى العكس من ذلك ، كلما عصى إنسان ربه أو طغى وبغى وظلم ، ازداد بغض المسلمين له .. وهكذا فالحب والبغض لها مقادير متغيّرة بحسب حالة العبد مع المولى العظيم جل جلاله في تمسّكه بدينه الحق ..

(١) سورة الأنفال:الآية ٣٩.
(٢) سورة النساء:الآيات ٧٥-٧٦.
(٣) سورة التوبة:الآية ٢٩.
(٤) سورة آل عمران:الآية ١٤٦.
(٥) سورة طه:الآيات ١٢٣-١٢٤.
(٦) سورة الممتحنة:الآية ٤.

وعلى هذا فأحب العبيد لله وللمؤمنين ، هم الرسل والأنبياء والملائكة عليهم السلام ، وأبغض المخلوقات لله تعالى وللمؤمنين هو عدو الله إبليس اللعين ، ثم أتباعه وأولياؤه كل بحسب طاعته وعبادته للشيطان ، وابتعاده عن الصراط المستقيم ..

عن ابن عباس رضي الله عنه قال :[**من أحب في الله ، وأبغض في الله ، وعادى في الله ، ووالى في الله ، فإنما تناله ولاية الله بذلك**][1] .

وللبغضاء لوازم ومقتضيات ومعاني .. مترتبة عليها تكون كعلامات وقرائن ظاهرة تدل على ما يُبطنه المسلم من كراهية ومقت لعبادة غير الله ولعابديها .. نذكر منها :

عدم المودّة بين الموحدين والمشركين :

قال رب العالمين ﷻ :﴿ **لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُم** ﴾[2]. وهكذا فالامتحان يشمل حتى أقرب الأقارب .. وهنا يظهر الصدق من الكذب .. والهوى من الطاعة .

عدم اتخاذهم أولياء وأحباب :

قال الله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ..** ﴾[3] . وقال تعالى :﴿ **من الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبّونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حُبّاً لله** ﴾[4] ... وفي الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعاً: "المرء مع من أحب" .

قال ابن القيم رحمه الله :

تُحب أعداءَ الحبيب وتدّعي حباً له ما ذاك في الإمكاني

(١) رواه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم : نقلاً عن مجموعة التوحيد: الرسالة ٦.

(٢) سورة المجادلة:الآية ٢٢.

(٣) سورة الممتحنة:الآية ١.

(٤) سورة البقرة:الآية ١٦٥.

عدم اتخاذهم أصحاب وأصدقاء مقربين :

وكيف تصادق عدوّك المبين ؟! نهى الله تعالى عن ذلك فقال ﷻ :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)** ﴾(١) .

.. هذا إن كنتم تعقلون ، أمّا إن كنتم سفهاء فسترغبون عن ذلك لأنه من مقتضيات ملّة إبراهيم عليه السلام ، حيث قال تعالى :﴿ **وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ** ﴾(٢) ، ومن يصاحب السفهاء يكون مثلَهم، وسيندم على ذلك حين لا ينفع الندم .. وسيقول كما أخبر الله تعالى عنه :﴿ **يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً (٢٩)** ﴾(٣) .

قال رسول الله ﷺ :"المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يُخَالِل"(٤). فليكن صديقك الحميم هو الذي يكون سبباً في استظلالك بظل الرحمن ، يوم لا ظل إلا ظله ﷻ .

عدم المسارعة في مودّتهم والتملّق لهم :

قال الله تعالى : ﴿ **فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢)** ﴾(٥) .. عن بريدة مرفوعاً :"لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يكن سيداً فقد أسخطم ربكم عزّ وجلّ"(٦) .. ورواه الحاكم ولفظه : "إذا قال الرجل للمنافق : يا سيدي فقد أغضب ربه عز وجل" وقال صحيح الإسناد – مجموعة التوحيد –

عدم الاستغفار لميّتهم :

قال الله تعالى :﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤)** ﴾(٧) .

---

(١) سورة آل عمران:الآية ١١٨.
(٢) سورة البقرة:الآية ١٣٠.
(٣) سورة الفرقان:الآيات ٢٨–٢٩.
(٤) رواه أبو داوود.
(٥) سورة المائدة:الآية ٥٢.
(٦) رواه أبو داوود والنسائي بإسناد صحيح.
(٧) سورة التوبة:الآيات ١١٣–١١٤.

ذلك لأن الله تعالى قد قـال :﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً (١١٦)** ﴾[١] .

وقال :﴿ **إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾[٢] .

ومع ذلك فالمسلم حريص كل الحرص على أن يُسلِم الناس لرب العالمين ، ويوحدوه ، ويعبدوه وحـده لا يشركون به شيئاً في كل مجالات حياتهم .. ويدعوا المسلم ربه قائلا :"اللهم أهدى قومي فإنهم لا يعلمون" كما كان رسول الله ﷺ يفـعل ، ويتأسف على إعراضهم عن الدين الحق، واتباعهم أهـوائهم وأهـواء أبـائهم وكبرائهم وساداتهم وأحبارهم ورهبانهم ، وما يُزيّنون لهم من أعمال وأقوال باطلة فاسدة .. ويـصدّقون دون تبيّن كل دعاية كاذبة عن الدين الحقّ وأهله ..!

يحزن الموحّد أشد الحزن على موت أحد أبناء آدم كافرا قد أغواه اللعين إبليس واستحوذ عليه مـن أحـد البابين : إما باب الشبهات ، وإما باب الشهوات .. فضيع عمره الذي جُعل له في هذه الدنيا فترة امتحان ما قبل دخول إحدى داري الخلود .. ﴿**يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَـسْتَهْزِئُون** ﴾[٣] وصدق الله .. فقد والله رأينا القوم يسخرون من سنّة رسول الهدى والنور ، بل يحاربونها بـشتى الطـرق .. ويسمعون آيات الله تتلى عليهم ـــ أو يتلونها هم بالأحكام مع التفسير ـــ ثم يصرّون علـى اتبـاع أهـوائهم وعاداتهم التي وجدوا عليها آبائهم ... ولكأنّ القوم صمٌ بكمٌ عميٌ !!؟؟.

وكيف لا يتمنى المسلم أن يكون أهله وأهل بلده وكل من حوله ، بل كل الناس.. مخلصين كل دينهم لله ، ليس في الشعائر والنسك فقط بل حتى في الحاكمية ، وفى الولاء والبراء .. مستمسكين بكتاب الله ، متـبعين لسنة خاتم رسله وأنبيائه ، هو منهجهم ، هو قانونهم ، هو مصدر جميع أقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم وأفكارهم، وقراراتهم ...

كيف لا يتمنى المسلم أن تزول من قومه عبادة القبور ، وعبادة القصور ، وأن تختفي نعرات الجاهلية وحميّتها وانحلالها ونتنها وراياتها وشعاراتها وتبرجها ، من وطنية وقومية وقبلية وعرقية وحرية ودولية.... وكل الأسمـاء التي يخترعونها هم وآباؤهم وكبراؤهم ، ما أنزل الله بها من سلطان ..

كيف لا يتمنى الموحّد أن يعلّم قومه ـــ خصوصاً من تدين منهم ـــ أنه لابد لهم من اجتناب كل ما يُعبـد من دون الله ، والبراءة منه ومن شرعه ونظامه وممن يعبده أو يتبعه أو يطيعه .. وأنه لن تنفعهم الـشهادتان ولا الصلاة ولا الصيام ولا الحج ، ولا التدين ... حتى يتبرؤوا من كل معبود غير الله ، وممن يعبده ، وحتى يقِـرُّوا أن السياسة والحكم تَبعٌ للدين وحسب المنهج والشرع الرباني العظيم الحكيم لا تنفصل عنه أبداً " وسـبحان

---

(١) سورة النساء:الآية ١١٦.

(٢) سورة المائدة:الآية ٧٢.

(٣) سورة يس:الآية ٣٠.

الله كيف ينفصل الدين الذي ما أنزله الله إلاّ ليسيّر حياة البشر على وجه الأرض ، بل وحتى حياة الجن أيضا ؟؟!! " ولكنها طبيعة الدين وسنة من كان قبلنا ..

فلينتظر الموحّدون المسلمون المخلصون .. ويصبروا ، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا .. فالدعوة دعوته ﷻ ، والدين دينه ، والعباد تحت تصرفه وحكمته ورحمته وقهره .. والأمر كله له .. فقد أوجد في النفوس التقوى والفجور ، والشكر والكفران ، وأعطى كل إنسان نوعاً من الإرادة والمشيئة المقيّدة بإذنه ﷻ ، و قال ﷻ :﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)** ﴾[١] وقال ﷻ :﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (٣)** ﴾[٢] .. وأخبر الله تعالى عن موسى عليه السلام أنه قال للطاغية فرعون:﴿**قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠)**﴾[٣].

وهذا أمر مهم لكل إنسان ، أن يعرف ما له وما عليه من الحقوق والواجبات .. فمن اهتدى وأخذ بأسباب الهدى فلن يجد إلا رباً هادياً رحيماً لطيفاً ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧)** ﴾[٤].

ومن زاغ واتبع هواه وشهواته ، وأخلد إلى الأرض ورضي بالحياة الدنيا... فقد ظلم نفسه بنفسه ..﴿ **فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ** ﴾[٥] .

ثم إن هنالك موعداً خطيراً للقاء كبير في يوم عظيم ﴿ **يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)**﴾[٦].. ﴿**وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً (٤٨) وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً (٤٩)** ﴾[٧] . ويكفيك أن تُعْلَمَ نفسك أن الرسل الكرام والملائكة المكرمين ، خائفين من ذلك اليوم ، كما في أحاديث الشفاعة ... فمن نحن حتى نطمئن ؟؟!! والله المستعان .

وهناك مسألة يجدر الإشارة لها وهي : ينبغي عدم الخلط بين البراءة ، والمعاملة بالبرّ والقسط والعدل .. وقد نبهنا الله تعالى عن ذلك فقال :﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨)** ﴾[٨] .

(١) سورة الشمس:الآيات ٧-١٠.
(٢) سورة الإنسان:الآيات ٢-٣.
(٣) سورة طه:الآيات ٤٩-٥٠.
(٤) سورة محمد:الآية ١٧.
(٥) سورة الصف:الآية ٥.
(٦) سورة المطففين:الآية ٦.
(٧) سورة الكهف:الآية ٤٨-٤٩.
(٨) سورة الممتحنة:الآية ٨.

وقال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)** ﴾(١).

ومن ذلك رد الأمانات إلى أهلها ، وعدم الغدر بمن أعطيناه الأمان ، والموافاة بالعهود ... كما كان رسول الله ﷺ يفعله مع غير المسلمين ...

والأهم الذي ينبغي معرفته هو ؛ أن رب العالمين ﷻ قد تبرأ من المشركين ، فكفّرهم وعاداهم وبغضهم ، وتولى المؤمنين وأحبهم وقرّبهم ونصرهم ...

أخبرنا ﷻ عن براء ته من المشركين فقال :﴿ **بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١)** ﴾(٢) . وقال :﴿ **وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ** ﴾(٣) . فهذا إعلان عام واضح ، عن براءة الله تعالى ورسوله ﷺ من المشركين . فهل من أذن واعية تستمع القول فتتبع أحسنه ؟؟

وأخبرنا ﷻ عن تكفيره للمشركين والكافرين ، أفراداً وجماعات.. قال تعالى عن زعيم المشركين من الجن والإنس وقائدهم الأول لعنة الله عليه وعليهم : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)** ﴾(٤) . وقال عن شياطين الجن :﴿ **وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُوا** ﴾(٥) .

ومن المهم جداً أن تعلم أن إبليس اللعين كان عالماً موحداً مسلماً ، قبل أن يتبع إله الهوى في عدم السجود لآدم عليه السلام .. فانظر كيف فعل الله بمن أطاع هواه في أمرٍ واحد .. وتأمل حال الناس الآن في اتباعهم لأهوائهم وأهواء الذين يضلونهم بغير علم ولا هدىً ولا كتابٍ منير ، وتذكر دائماً أن الله ليس بظلام للعبيد .

وقال تعالى عن طائفة من أبناء آدم :﴿ **أَلا إِنَّ عَاداً كَفرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ**﴾(٦). فأخبر عن كفرهم وهجرهم .. بإبعادهم .

وقال تعالى عن سلالة نبي الله يعقوب عليه السلام ـــ إسرائيل ـــ :﴿ **فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ** ﴾(٧) .. ثم من سلالة هؤلاء النصارى المؤمنين [أي الحواريين] منهم من كفر بعد ذلك ، قال تعالى عنهم:﴿ **لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ** ﴾(٨) .. وكذلك كفرت قريش وهم من سلالة إسماعيل عليه السلام ولقد كانت قريش تحسبُ أنها على دين إبراهيم عليه السلام.. وفي هذا حجة وتنبيهاً على من يحتج بالسلالة والنسب

(١) سورة المائدة:الآية ٨.
(٢) سورة التوبة:الآية ١.
(٣) سورة التوبة:الآية ٣.
(٤) سورة البقرة:الآية ٣٤.
(٥) سورة البقرة:الآية ١٠٢.
(٦) سورة هود:الآية ٦٠.
(٧) سورة الصف:الآية ١٤.
(٨) سورة المائدة:الآية ٧٣.

على صحة ما هو عليه ، وقد قال رسول الله ﷺ : "من أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبه"[(١)] . وقال تعالى عن زعيم مشركي قريش وقائدهم :﴿ **أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً (٧٧)** ﴾[(٢)]. وزعيم مشركي قوم إبراهيم :﴿ **ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه** ﴾ .. إلى قوله تعالى :﴿ **فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[(٣)] .

وحكم بالكفر على من حكم بغير شرعه قال تعالى :﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾[(٤)] . وعلى من تحاكم إلى غير شرعه قال تعالى:﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً (٦٥)**﴾[(٥)] .

فليس الكفر محصوراً فقط في أصنام قريش ، وصليب النصارى وعناد اليهود .. كما يتوهمُ كثيرٌ من الناس**!!** بل قد أطلق الله تعالى حكم الكفر على الناس بحكم الغالبية المعروف في الشرع ، فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴾[(٦)]. ومعلوم أن من البشر من ليس بظالم ولا كافر كالرسل عليهم السلام ، ولكن الغالبية من البشر ظالمين وكفار كما أخبر بذلك رب العالمين حين قال:﴿ **فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً** ﴾[(٧)] . ﴿ **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣)** ﴾[(٨)]. ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦)**﴾[(٩)] .

قال الإمام النسفي رحمه الله في تفسيره لقول الله تعالى ﴿ **رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا** ﴾[(١٠)] ، قال:[تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير ، فعبر عن الكثرة بالكلية][(١١)] .

وهذا حجّة على من يُنكر الحكم بالغالب ، وعلى من يحتج بالكثرة على صحة ما هو عليه .

وأخبرنا رب العالمين أنه عدو للكافرين في كثير من الآيات : قال تعالى :﴿ **مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ (٩٨)** ﴾[(١٢)] ..

وعن معاداته للطغاة كفرعون وأمثاله قال تعالى :﴿ **يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ** ﴾[(١٣)] .

---

(١) صحيح الأربعين النووية.
(٢) سورة مريم:الآية ٧٧.
(٣) سورة البقرة:الآية ٢٥٨.
(٤) سورة المائدة:الآية ٤٤.
(٥) سورة النساء:الآية ٦٥.
(٦) سورة إبراهيم:الآية ٣٤.
(٧) سورة الإسراء:الآية ٨٩.
(٨) سورة يوسف:الآية ١٠٣.
(٩) سورة يوسف:الآية ١٠٦.
(١٠) سورة الأحقاف:الآيات ٢٤-٢٥.
(١١) تفسير النسفي: ج٤.
(١٢) سورة البقرة:الآية ٩٨.
(١٣) سورة طه:الآية ٣٩.

وعن عداوته ﷻ للكافرين : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء** ﴾[١] .

فتأمل قوله تعالى :﴿ **عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ** ﴾ وقوله :﴿ **عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ يشعرك بالولاية بين الله تعالى وبين عباده المخلصين له الدين .. وأن العداوة بين الموحدين والمشركين أصل عظيم من أصول التوحيد ..

وأن هناك صلة قوية بين المولى جلّ وعلا وبين عبيده على ظهر هذا الكوكب ، ويا ويح نفوسٍ تحارب جبّار السماوات والأرض ودينه وأوليائه المؤمنين ..! قال الله تعالى :﴿ **وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[٢] .. وعداوة رب العالمين للكافرين حتى يوم القيامة ، أخبرنا رب العالمين بذلك فقال ﷻ:﴿ **وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ** ﴾[٣] .

وأخبرنا ﷻ عن مقتضيات العداوة بينه ﷻ وبين الكافرين ؛ فقال تعالى: ﴿ **وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾[٤] .. وقال تعالى :﴿ **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى** ﴾[٥] .

وأخبرنا رب العالمين أنه يبغض الكافرين ، فقال تعالى :﴿ **قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢)** ﴾[٦] . وقال تعالى :﴿ **وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾[٧]. وقال تعالى :﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ**﴾[٨] .

.. وهكذا ينفتح لك بابٌ على عالمٍ آخر ، من الروابط بين رب السماوات والأرض ، وبين عبيده الذين يعيشون على ظهر الأرض ... والترابط في المحبة والعداوة ، والولاء والبراء ... مما يزيد من قوة الحجّة في اتباع ملّة إبراهيم عليه السلام ، والاهتداء إلى الصراط المستقيم .. فتأمله يفيدك كثيراً بإذن الله .

وهناك أمرٌ أخرُ مهم ، ينبغي الإنذار به ، والتنبيه عليه ؛ ألا وهو : أن الإنسان في هذه الحياة الدنيا، إما أن يستسلم لله تعالى الاستسلام الكامل ، ويتبرأ من المشركين وشركهم .. وإلاّ سيضطر إلى الاستسلام — أي الإسلام — والبراءة يوم القيامة ، ولكن حين لا ينفعه ذلك !! فسيتحسر ويندم أشد الندم على تضييعه فرصة حياته في الدنيا ..

يخبرنا علام الغيوب ﷻ بذلك في القرآن فيقول : ﴿ **قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩)** ﴾[٩] . ﴿ **بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦)** ﴾[١٠] .

---

(١) سورة الممتحنة:الآية ١.
(٢) سورة الروم:الآية ٤٧.
(٣) سورة فصلت:الآية ١٩.
(٤) سورة هود:الآية ٤٤.
(٥) سورة الأنفال:الآية ١٧.
(٦) سورة آل عمران:الآية ٣٢.
(٧) سور البقرة:الآية ٢٧٦.
(٨) سورة الحج:الآية ٣٨.
(٩) سورة السجدة:الآية ٢٩.
(١٠) سورة الصافات:الآية ٢٥.

بل حتى قبيل وقت الرحيل عن الدنيا وفي لحظات الاحتضار لن ينفع العبد إيمانه آنذاك إن لم يكن استسلم لله وحده من قبل طائعاً مختاراً موقناً ..

أخبرنا الله تعالى عن أحد العبيد "*الذي ظن أنه قد ملك القوة والسلطان والجند والجاه والأفكار والطرق المثلى*" ماذا كانت حالته حين الموت ، قال تعالى: ﴿ **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢)**﴾[١] ..

ويا سبحان الله ! لو تدبّر هذه الآية وهذا الخبر ، الملوك والرؤساء والزعماء والقادة وكل من تولى منصباً .. وكل جندي أو خادم لهؤلاء .. لو تدبّروا قصة فرعون وجنده ، وتأملوا أحواله .. ثم اعتبروا لأنفسهم منها .. لعرفوا أنه من الخير كل الخير لهم أن يستسلموا لله تعالى وحده لا يشركون به شيئا ، وأن يدخلوا تحت طاعة الملك الأعظم رب العالمين ﷻ ، ويتبعوا هدى رسوله محمد ﷺ- الذي وصفته وبشرت وأوصت بمتابعته التوراة والإنجيل- وأن يلتزموا بشريعته التي نسخت كل الشرائع السابقة ، ويتبرؤوا من كل أقوالهم وأفعالهم وأفكارهم وقراراتهم ..التي لا تستند إلى إذن أو دليل من القرآن أو السنة .... وإن هذه والله لهي أحسن السياسات والأحكام والأنظمة والقوانين والنظريات ، التي لا يضاهيها شيء من أفكار الناس ولا أنظمتهم ولا مناهجهم الأرضية القاصرة .. ذلك بأن الله تعالى هو الخلاق العليم الخبير العزيز الحكيم لا إله غيره ولا معبود سواه ولا معقب لحكمه ، الذي بيده ملكوت كل شيء ، ولن يعجزه أبداً أن يدبّر أمر الأرض ومن عليها ﷻ عمّا يشركون .

فمن لا يريد ذلك ويريد أن يستكبر عن طاعة الله ورسوله في كل أمور حياته .. فليس فرعون وجنده وحدهم هم المعرّضون للهلاك والعذاب .. بل كل من يفعل مثل فعله ..قال تعالى:﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِّلْآخِرِينَ (٥٦)** ﴾[٢] .

ألا فاعلموا يهدينا الله وإياكم :

- أن يوم القيامة **سيتبرأ** المشركون من بعضهم البعض :

قال الله تعالى : ﴿ **وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ**

(١) سورة يونس:الآيات ٩٠-٩٢.

(٢) سورة الزخرف:الآيات ٥٤-٥٦.

اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧) ﴾[١] .

فيا ظالماً تراجع عما أنت فيه وإلاّ ستُلقى في جهنمَ نادما
ويا كلَّ متّبع لظالم تبرأ منه مادمتَ سالما

- وأن يوم القيامة **سيكفّر** المشركون بعضهم البعض ويكفرون بآلهتهم المزعومة :

قال الله تعالى :﴿ **ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً** ﴾[٢] ، وقال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)** ﴾[٣] ...

- ويوم القيامة **سيعادي** الكفّار بعضهم بعضا :

قال الله تعالى :﴿ **الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾[٤] .

- ويوم القيامة **سيبغض** الكافرون بعضهم بعضا :

قال الله تعالى :﴿ **رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ**﴾[٥]. وقال تعالى :﴿ **كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا** ﴾[٦] . وقال تعالى :﴿ **هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩)** ﴾[٧] .

وهكذا ترى أنه إمّا أن تُسلم وتُطيع الله وحده وتتبرأ من كل معبود من دون الله ومن أتباعه وعبّاده ومطيعيه [أي تتبع ملّة إبراهيم حنيفا مسلما] ، وإلاّ ستندم حيث لا ينفعك الندم ، قال تعالى :﴿ **أَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَى قَدْ جَاءتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩)** ﴾[٨] .

---

(١) سورة البقرة:الآيات ١٦٥-١٦٧.
(٢) سورة العنكبوت:الآية ٢٥.
(٣) سورة غافر:الآيات ٨٤-٨٥.
(٤) سورة الزخرف:الآية ١٧.
(٥) سورة فصلت:الآية ٢٩.
(٦) سورة الأعراف:الآية ٣٨.
(٧) سورة ص:الآية ٥٩.
(٨) سورة الزمر:الآيات ٥٤-٥٩.

وقال تعالى :﴿ **وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)** ﴾[1] .

فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلاّ نفسه ..

- حتى تؤمنوا بالله **وحده** :

والإيمان بالله وحده : يعني توحيده .. أي الاستسلام الكامل لله وحده .. لا شريك له في الطّاعة والولاء .. لا شريك له في الاتباع .. لا شريك له في العبادة .. لا شريك له في المحبة ..لا خوف إلاّ منه .. ولا طمع إلاّ في رحمته وفضله وعفوه ..

أخبرنا الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام :﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢)**﴾[2] .

وهذه الوصية العظيمة أوصى بها يعقوب عليه السلام بنيه كما أخبرنا بذلك رب العالمين :﴿ **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣)** ﴾[3] .

ثم أوصى الله تعالى خليله محمد ﷺ وأتباعه بنفس هذه الوصية العظيمة :﴿ **قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦)** ﴾[4]. وقال تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)** ﴾[5] .

فهو الإسلام الذي رضيه الله لعباده ديناً ، والذي هو الاستسلام الكامل لرب العالمين جلّ وعلا وحده .. والذي يعني توحيده سبحانه وتعالى ... لا اختلاف في ذلك ولا خلاف .

والتوحيد قد قسمه العلماء إلى ثلاثة أقسام ــ تسهيلا منهم لكشف الشبهات ــ : توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

- **توحيد الربوبية** : هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو الخالق ، الرازق ، المحي المميت ، مدّبر الأمور في هذا العالم ....

(١) سورة آل عمران:الآية ١٣٣.
(٢) سورة البقرة:الآيات ١٣١–١٣٢.
(٣) سورة البقرة:الآية ١٣٣.
(٤) سورة البقرة:الآية ١٣٦.
(٥) سورة آل عمران:الآية ١٠٢.

وهذا النوع لا ينكره غالب البشر اللهم إلاّ حثالة منهم كالملحدين والشيوعيين .. كما أخبر الله تعالى عن إقرار كفار قريش بهذا التوحيد لله في كثير من الآيات القرآنية الكريمة ..

- **توحيد الألوهية** : وهذا هو محل المنازعات والشبهات والعصيان بين أهل الحق وأهل الباطل.. ولأجله كان العداء بين الرسل الكرام وبين أقوامهم ..

وتوحيد الألوهية يعني توحيد العبادة ، أي إخلاص جميع الأقوال والأفعال والمعتقدات لله تعالى وحده كما يحب سبحانه ويرضى .. فهو وحده المستحق للمحبّة الكاملة الصادقة والاستسلام التام والطاعة والخضوع الكامل .. ﷻ لا شريك له .

فتوجبت عبادته وحده سبحانه في الحاكمية ، لا حكم إلاّ حكمه ولا شرع إلاّ شرعه ولا نظام إلاّ نظامه .. وبالتالي لا تحاكم إلاّ إلى شرعه في أي نزاع أو أي مشكلة تحدث بين الناس .. قال تعالى :﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾(١). وقال تعالى:﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾(٢) .

وتوجبت عبادته وحده سبحانه في الشعائر والنسك : كالصلاة والحج والصيام والذبح والنذر والدعاء والاستغاثة والاستعانة .. وسائر الشعائر التي أنزلها الله في كتابه أو على لسان رسوله الكريم .

وتوجبت عبادته وحده سبحانه في الولاء : بأن يحب العبد كل ما يحبّه مولاه الحق ، ولا يتولى من الناس إلاّ من يحبهم مولاه ﷻ ، ولا يطيع إلاّ من أمر الله بطاعته ..

- **توحيد الأسماء والصفات** : فالتوحيد فيها هو أن تؤمن بها وتعتقدها وتقرها، كما أخبرنا الله تعالى عنها في كتابه ، أو أخبر بها رسوله ﷺ ، بدون تشبيهه ﷻ بأحد من المخلوقات ، ولا تعطيل لما تقتضيه أسمائه الحسنى وصفاته العلا .. قال تعالى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾(٣) ... والله أعلم وأحكم.

وختاماً .. فهذه هدية طيبة من رسالة "**هدية طيبة**" للإمام محمد بن عبد الوهّاب رحمه الله يقول فيها:[**فالله الله يا إخواني ، تمسكوا بأصل دينكم ، وأوله وآخره ، وأُسه ورأسه ، شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها وأحبوها وأحبوا أهلها ، واجعلوهم إخوانكم ، ولو كانوا بعيدين ، واكفروا بالطواغيت وعادوهم ، وأبغضوا من أحبّهم أو جادل عنهم أو لم يكفرّهم ، أو قال : ما علي منهم ، أو قال : ما كلفني الله بهم ، فقد كذب هذا على الله وافترى ، فقد كلفه الله بهم ، وافترض عليه الكفر بهم ، والبراءة**

---

(١) سورة النساء:الآية ٥٩.
(٢) سورة يوسف:الآية ٤٠ .
(٣) السورة:الآية ١١.

منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم ... فالله الله ، تمسكوا بذلك لعلّكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئا ، اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين][١] .

قال الشيخ سلمان بن سحمان رحمه الله :

على الدين فليبّك ذوو العلم والهدى … فقد طمست أعلامه في العوالم
وقد صار إقبال الورى واحتيالهم … على هذه الدنيا وجمع الدراهم
وإصلاح دنياهم بإفساد دينهم … وتحصيل ملذوذاتهم والمطاعم
يعادون فيها بل يوالون أهلها … سواء لديهم ذو التّقى والجرائم
إذا انتقص الإنسان منها بما عسى … يكون له ذخرا أتى بالعظائم
وأبدى أعاجيباً من الحزن والأسى … على قلّة الأنصار من كل حازم
وناح عليها آسفا متظلما … وباح بما في صدره غير كاتم
فأما على الدين الحنيفي والهدى … وملّة إبراهيم ذات الدعائم
فليس عليها بعد أن ثلّ عرشها … من الناس من باك وآس ونادم
وقد درست منها المعالم بل عفت … ولم يبق إلا الاسم بين العوالم
فلا آمر بالعرف يعرف بيننا … ولا زاجر عن معضلات الجرائم
وملّة إبراهيم غودر نهجها … عفاء فأضحت طامسات المعالم
وقد عدمت فينا وكيف قد سفت … عليها السوافي في جميع الأقالم
وما الدين إلا الحب والبغض والولا … كذاك البرا من كل غاو وآثم
وليس لها من سالك متمسك … بدين النبي الأبطحي ابن هاشم
فلسنا نرى ما حل بالدين وانمحت … به الملّة السمحاء إحدى القواصم
فنأسى على التقصير منّا ونلتجي … إلى الله في محو الذنوب العظائم
فنشكو إلى الله القلوب التي قست … وران عليها كسب تلك المآثم
ألسنا إذا ما جاءنا متضمّخ … بأوضار أهل الشرك من كل ظالم
نهشّ إليهم بالتحيّة والثّنا … ونهرع في إكرامهم بالولائم
وقد برئ المعصوم من كل مسلم … يقيم بدار الكفر غير مصارم
ولا مظهر للدين بين ذوي الردى … فهل كان منّا هجر أهل الجرائم
ولكنّما العقل المعيشيّ عندنا … مسالمة العاصين من كل آثم
فيا محنة الإسلام من كل جاهل … ويا قلّة الأنصار من كل عالم
وهذا أوان الصبر إن كنت حازما … على الدين فاصبر صبر أهل العزائم
فمن يتمسّك بالحنيفيّة التي … أتتنا عن المعصوم صفوة آدم

(١) مجموعة التوحيد: الرسالة الثالثة.

له أجر خمسين امرئ من ذوي الهدى   من الصحب أصحاب النبي الأكارم
فنح وابك واستنصر بربك راغبا   إليه فإن الله أرحم راحم
لينصر هذا الدين بعد ما عفت   معالمه في الأرض بين العوالم
وصلّ على المعصوم والآل كلهم   وأصحابه أهل التقى والمكارم
بعد وميض البرق والرّمل والحصا   وما انهلّ ودقّ من خلال الغمائم

اللهم قد بلّغت . .اللهم فاشهد .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت أستغفرك وأتوب إليك . ما كان من خطأ أو زلل أو نسيان فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله منه براء ، وما كان من صواب وحق فمن فضل الله تعالى وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .



الفهرس